

ابن سينا يروي قصة صباه

من كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»

لابن أبي أصيبعة الجوزجاني

هو ابو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ، وهو ان كان أشهر من أن يذكر ، وفضائله أظهر من أن تسطر ، فانه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه . ولذلك اننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه ، نقله عنه أبو عبيد الجوزجاني ، قال ، قال : الشيخ الرئيس :

ان أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها الى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف (١) ، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارى ، وهي من أمهات القرى ، وبقرها قرية يقال لها أفنشنة ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن ، وولدت منها بها . ثم ولدت أخي ، ثم انتقلنا الى بخارى . وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب ، حتى كان يقضى مني العجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين (٢) ويعد من الاسماعيلية . وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي ، وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضاً اليه ، ويجرون على السننهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه . ثم جاء الى بخارى أبو عبد الله النائي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعليمي منه . وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسماعيل الزاهد ،

(*) جميع الحواشي من المجلة .



وكنت من أجود السالكين • وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على
المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به •

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على النائي • ولما ذكر لي حد الجنس ،
انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فأخذت في
تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من
شغلي بغير المعلم • وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت
ظواهر المنطق عليه • وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة • ثم أخذت أقرأ
الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق • وكذلك كتاب
اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل
بقية الكتاب بأسره • ثم انتقلت الى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته
وانتهيت الى الاشكال الهندسية ، قال لي النائي تول قراءتها وحلها بنفسك ،
ثم أعرضها علي لأبين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب •
وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه
وفهمته اياه • ثم فارقتي النائي متوجهاً الى كركانج ، واشتغلت أنا بتحصيل
الكتب من الفصوص (٣) والشروح ، من الطبيعي والالهي ، وصارت أبواب
العلم تنفتح علي •

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب
ليس من العلوم الصعبة • فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء
الطب يقرأون علي علم الطب • وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب
المعالجات المكتسبة من التجربة مالا يوصف ، وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه
وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ستّ عشرة سنة • ثم توفرت على
العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة • وفي
هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين
يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، وربتها
في تلك الظهور • ثم نظرت فيما عساها تنتج ، وراعت شروط مقدماته حتى
تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتخير في مسألة ولم أكن
أظفر بالحد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى مبدع
الكل ، حتى فتح لي المنغلق ، وتيسر المتعسر •

وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة
والكتابة • فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من

الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزد فيه الى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت الى الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين، وبيد دلال مجلد ينادي عليه . فعرضه علي فرددته رد متبرم ، معتقد أن لافائدة من هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعك به بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت الى بيتي وأسعرت قراءته . فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرضٌ تلج (٤) الاطباء فيه ، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة . فأجروا ذكري بين يديه وسألوه احضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب . فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها . ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعد . فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضح ، والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جوارى رجل يقال له أبو الحسين العروضي . فسألني أن أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي اذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جوارى أيضاً رجل يقال له أبو



بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير
والزهد ، مائل الى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب
الحاصل والمحصل في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الاخلاق كتاباً
سميته كتاب البر والاثم ، وهذان الكتابان لا يوجدان الا عنده
فلم يعر أحداً ينسخ منهما ، ثم مات والدي وتصرفت بي الاحوال ، وتقلدت
شيئاً من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الاخلال ببخارى والانتقال
الى كركانج ، وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً ،
وقدمت الى الامير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء اذ ذاك
بطيلسان وتحت الحنك (هـ) ، وأثبتوا لي مشاهرة دارّة بكفاية مثلي ، ثم دعت
الضرورة الى الانتقال الى نسا ، ومنها الى باورد ، ومنها الى طوس ، ومنها
الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها
الى جرجان ، وكان قصدي الامير قابوس ، فاتفق في اثناء هذا أخذ قابوس
وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها
مرضاً صعباً وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت
في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري
(الكامل)

التلميذ يتم قصة حياة أستاذه

قال أبو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس ، فهذا ما حكى لي الشيخ
من لفظه ، ومن ههنا شاهدت أنا من أحواله ، وكان بجرجان رجل يقال له أبو
محمد الشيرازي يحب هذه العلوم ، وقد اشترى للشيخ داراً في جواره وأنزله
بها ، وأنا اختلف اليه في كل يوم أقرأ المجسطي وأستملي المنطق ، فأملى
عليّ المختصر الاوسط في المنطق ، وصنف لأبي محمد الشيرازي كتاب المبدأ
والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية ، وصنف هناك كتباً كثيرة ، كأول القانون
ومختصر المجسطي ، وكثيراً من الرسائل ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه ،
وهذا فهرست كتبه : كتاب المجموع مجلدة ، الحاصل والمحصل عشرون
مجلدة ، الانسان عشرون مجلدة ، البر والاثم مجلدتان ، الشفاء ثمان عشرة (١)
مجلدة ، القانون أربع عشرة مجلدة ، الارصاد الكلية مجلدة ، كتاب النجاة
ثلاث مجلدات ، الهداية مجلدة ، القولنج مجلدة ، لسان العرب
عشر مجلدات ، الادوية القلبية مجلدة ، الموجز مجلدة ، بعض الحكمة المشرقية

مجلدة ، بيان ذوات الجهة مجلدة ، كتاب المعاد مجلدة ، كتاب المبدأ والمعاد
مجلدة ، كتاب المباحثات مجلدة .

ومن رسائله : القضاء والقدر ، الآلة الرصدية غرض قاطيغورياس .
المنطق بالشعر القصائد في العظمة والحكمة في الحروف . تعقب المواضع
الجدلية . مختصر اقليدس . مختصر في النبض بالعجمية . الحدود ، الاجرام
السماوية . الاشارة الى علم المنطق . أقسام الحكمة في النهاية واللا نهاية ،
عهد كتبه لنفسه حي بن يقظان في أن أبعاد الجسم غير ذاتية له . خطب ،
الكلام في الهندبا . في أنه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً . في
أن علم زيد غير علم عمرو . رسائل له اخوانية وسلطانية . مسائل جرت بينه
وبين بعض الفضلاء . كتاب الحواشي على القانون . كتاب عيون الحكمة ،
كتاب الشبكة والطير .

ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ، وعرفوه
بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة اذ ذاك
غلبة السوءاء ، فاشتغل بمداواته ، وصنف هناك كتاب المعاد ، وأقام بها
الى أن قصد شمس الدولة (٧) بعد قتل هلال بن بدر بن حسنوية وهزيمة
عسكر بغداد . ثم اتفقت أسباب أوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين (٨) ،
ومنها الى همدان (٩) ، واتصاله بخدمة كذبانويه والنظر في أسبابها . ثم اتفق
معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه ، وعالجه
حتى شفاه الله ، وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة ، ورجع الى داره بعد
ما أقام هناك أربعين يوماً بلياليها ، وصار من ندماء الامير . ثم اتفق نهوض
الامير الى قرمسين (١٠) لحرب عناز ، وخرج الشيخ في خدمته ، ثم توجه نحوهمدان
منهزماً راجعاً .

ثم سأله تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه ،
واشفاقهم منه على أنفسهم ، فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس ، وأغاروا
على أسبابه ، وأخذوا جميع ما كان يملكه . وسألوا الامير قتله فامتنع
منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتواري في دار الشيخ ابي
سعد بن دخدوك أربعين يوماً فعاود الامير شمس الدولة القولنج (١١) ، وطلب
الشيخ فحضر مجلسه ، فاعتذر الامير اليه بكل الاعتذار ، فاشتغل بمعالجته ،
وأقام عنده مكرماً مبعجلاً . وأعيدت الوزارة اليه ثانياً ، ثم سأله أنا شرح
كتب ارسطوطاليس ، فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت . ولكن ان



رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت ذلك ، فرضيت به . فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء . وكان يقرئ غيري من القانون نوبة . فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيء مجلس الشراب بآلاته : وكنا نشغل به ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير ، فقضينا على ذلك زمناً ، ثم توجه شمس الدين الى طارم لحرب الامير بها ، وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ ، فخاف العسكر وفاته فرجعوا به طالبين همدان في المهدي فتوفي في الطريق في المهدي . ثم بويغ ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة سراً يطلب خدمته ، والمصير اليه ، والانضمام الى جوانبه . وأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً . وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الاجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات . وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً . ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة ، فأنكر عليه ذلك ، وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه ، فأخذه وأدوه الى قلعة يقال لها فردجان وأنشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

(الوافر)

وبقي فيها أربعة أشهر . ثم قصد علاء الدولة همدان وأخذها ، وانهمز تاج الملك ومر الى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن همدان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همدان وحملوا معهم الشيخ الى همدان ، ونزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ، ورسالة حي بن يقظان ، وكتاب القولنج . وأما الادوية القلبية فانما صنفها أول وروده الى همدان ، وكان قد تقضى على

هذا زمان ، وتاج الملك في اثناء هذا يمينه بمواعيد جميلة . ثم عن ' للشيخ التوجه الى اصفهان ، فخرج متنكراً وأنا وأخوه وغلماان معه في زي الصوفية الى أن وصلنا الى طبران على باب اصفهان، بعد أن قاسينا شدائد في الطريق، فاستقبلنا اصدقاء الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه ، وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محلة يقال لها كونكند في دار عبد الله بن بابي ، وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله . ثم رسم علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ من جملتهم . فما كان يطاق في شيء من العلوم .

واشغل بأصفهان في تتميم كتاب الشفاء ، ففرغ من المنطق والمجسطي ، وكان قد اختصر أقليدس والارثماتيقي والموسيقى . وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة اليها داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف القطر وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق اليها ، وأورد في أقليدس شبها ، وفي الارثماتيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الاولون : وتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفهما في السنة التي توجه فيها علاء الدولة الى سابور خواست (١٢) في الطريق . وصنف أيضاً في الطريق كتاب النجاة ، واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى أن عزم علاء الدولة على قصد همدان ، وخرج الشيخ في الصحبة ، فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة ، فأمر الامير الشيخ الاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الاموال ما يحتاج اليه . وابتدأ الشيخ به وولاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعاتها حتى ظهر كثير من المسائل، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الاسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان الكتاب العلائي :

وكان من عجائب أمر الشيخ اني صحبتته وخدمته خمساً وعشرين سنة فما رأيت له اذا وقع له كتاب مجدد ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضيع الصعبة منه والمسائل المشككة ، فينظر ما قاله مصنفة فيها ، فيتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وكان الشيخ جالساً يوماً من الايام بين يدي الامير وأبو منصور الجبائي حاضر فجري في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستهدى كتاب تهذيب



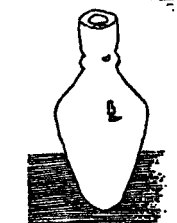
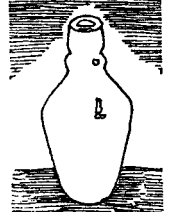
اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الازهري ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها . وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة . وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة صاحب وأمر بتجليدها واخلاق جلدها . ثم أوعز الامير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي . وذكر أنا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدتها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ ان ماتجهله من هذا الكتاب فهو مذکور في الموضوع الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الالفاظ منها ، وكان أبو منصور مجازفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ ، وان الذي حملة عليه ما جبهه به في ذلك اليوم ، فتنصل واعتذاليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتى توفي فبقي على مسودته لايهتدي أحد الى ترتيبه . وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصور أن مادة تريد النزول الى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمّن ورماً ينزل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقة ولفه في خرقة وتغطية رأسه بها ففعل ذلك حتى قوي الموضوع ، وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي . ومن ذلك أن امرأة مسلولة بخوارزم أمرها أن لاتتناول شيئاً من الادوية سوى الجلنجبين (١٢) السكري حتى تناولت على الايام مقدار مائة منه وشفيت المرأة .

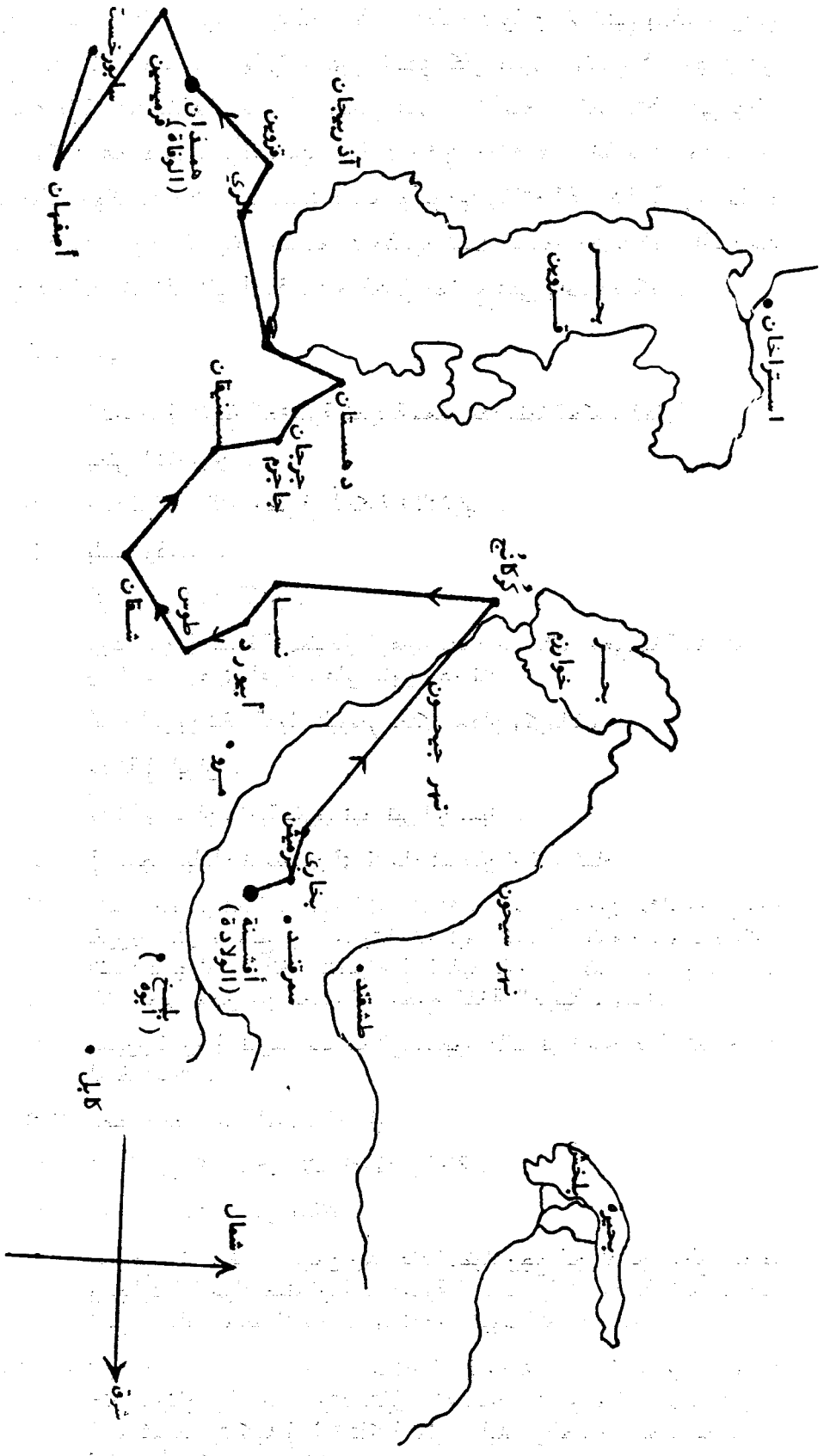
وكان الشيخ قد صنف بجرجان المختصر الاصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة ، ووقعت نسخة الى شيراز فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوقعت لهم الشبه في مسائل منها ، فكتبوها على جزء . وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذ بالجزء الى أبي القاسم الكرمانى صاحب ابراهيم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم التناظر ، وأضاف اليه كتاباً الى الشيخ أبي القاسم وأنفذهما على يدي ركابي (١٤) قاصد ، وسأله عرض الجزء على الشيخ واستيجاز أجوبته فيه . واذا الشيخ أبو القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف ، وعرض عليه الكتاب والجزء ، فقرأ الكتاب ورده عليه ، وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون . ثم خرج أبو القاسم ، وأمرني الشيخ باحضار البياض وقطع أجزاء منه ، فشددت خمسة أجزاء كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني

وصلينا العشاء وقدم الشمع فأمر باحضار الشراب وأجلسني وأخاه وأنا بتناول الشراب ، وابتدأ هو بجواب تلك المسائل . وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل حتى غلبنني وأخاه النوم ، فأمر بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فاذا رسول الشيخ يستهزئني فحضرته وهو على المصلى ، وبين يديه الاجزاء الخمسة ، فقال خذها وصر بها الى الشيخ أبي القاسم الكرمانى ، وقل له استعجلت في الاجوبة عنها لئلا يتعوق الركابي ، فلما حملته اليه تعجب كل العجب وصرف الفيح(١٥) وأعلمهم بهذه الحالة ، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس .

ووضع في حال الرصد آلات ما سبق اليها ، وصنف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد ، وكان غرضي تبين ما يحكيه بطليموس عن قصته في الارصاد ، فتبين لي بعضها . وصنف الشيخ كتاب الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود الى أصفهان نهب عسكره رحل الشيخ وكان الكتاب في جملته ، وما وقف على أثر . وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب . وكان كثيراً ما يشتغل به فأثر في مزاجه : وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار أمره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ الى أن أخذ الشيخ قولنج ، ولحرصه على برئه اشفاقاً من هزيمة يدفع اليها ، ولا يتأتى له المسير فيها مع المرض حقن نفسه في يوم واحد ثمان كرات ، فتقرح بعض أمعائه وظهر به سحج(١٦) ، وأحوج الى المسير مع علاء الدولة فأسرعوا نحو ايزج فظهر به هناك الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كان يدبر نفسه ويحقن نفسه لأجل السحج ولبقية القولنج ، فأمر يوماً باتخاذ دانقين من بزر الكرفس في جملة ما يحتقن به وخلطه بها طلباً لكسر الرياح ، فقصد بعض اطباء الذي كان يتقدم هو اليه بمعالجته ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست أدري أعمداً فعله أم خطأ لأنني لم أكن معه ، فازداد السحج به من حدة ذلك البزر . وكان يتناول المثرود يطوس(١٧) لأجل الصرع فقام بعض غلماناه وطرح شيئاً كثيراً من الافيون فيه ، وناوله فأكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزانته ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبة أعمالهم .

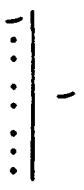
ونقل الشيخ كما هو الى أصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي وحضر مجلس علاء الدولة . لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثر التخليط في أمر المجامعة ، ولم يبرأ من العلة كل البرء ، فكان ينتكس ويبرأ كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همدان فسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلة الى





اعداد الدكتور نسيب نشاوي

مسيرة النسيج الرئيسي



أن وصل الى همدان ، وعلم أن قوته قد سقطت ، وأنها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه وأخذ يقول المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير، والآن فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل الى جوار ربه . وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . هذا آخر ما ذكره أبو عبيد من أحوال الشيخ الرئيس ، وقبره تحت السور من جانب القبة من همدان ، وقيل انه نقل الى أصفهان ودفن في موضع على باب كونكند .

الحواشي :

- (١) للتصرف في تاريخ الحضارة العربية معان عدة منها الحكم والادارة .
- (٢) يعني الفاطميين .
- (٣) يريد كتاب « الفصوص في الحكمة » للفارابي .
- (٤) بلسد وذهب .
- (٥) أي الى ما تحت الذقن .
- (٦) ورد ثمان في نسخة المطبعة البوهبية بدون ياء دائها وهي لغة فقد تحذف ياء ثمانى ويجري اعرابها على النون وهو نادر .
- (٧) أبو طاهر بن فخر الدولة البويهى حاكم همدان وكرمانشاه .
- (٨) مدينة في ايران .
- (٩) مدينة في ايران جنوباً بغرب فيها قبر ابن سينا .
- (١٠) في معجم البلدان قرمىسين أي كرمان شاهان أو كرمنشاه .
- (١١) بضم القاف وفتحها مع فتح اللام وقد تكسر : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج التفل والريح وهو ما يقال له اليوم انسداد الامعاء ، وقد يكون الانسداد جزئياً . انظر تفصيله في كتاب تاموس الاطباء وتاموس الالبا للقوصوني وهو من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- (١٢) سابور كورة في فارس تنسب الى سابور الملك فيها مدن عدة منها خشت أو خواست .
- (١٣) معجون يعمل من الورد والعسل .
- (١٤) نسبة الى ركاب وهي الابل أي ذي راحلة .
- (١٥) الرسول الذي يسمى بالكتب .
- (١٦) السحج هنا مرض في البطن وهو عند الاطباء وجع انجراد من سطح المعاء، والجاراد إما مواد صفراوية أو دموية أو صديدية أو مديّة تنبعث عن نفس المعاء ، وهو أقرب الى ما ندعوه اليوم انثقاب المعاء .
- (١٧) ويقال له « مثرا » اخذساراً معناه المنقذ من ضرر السم ، وهو دواء شاع عند اليونان والعرب ، وقد يقابل بينه وبين الترياق ولكل منهما مزايا . انظر شرحه وتركيبه في : « تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجائب » نداود الأنطاكي — ص ٢٩١ .

